الهدايا والخلع في العصر العباسي بين الوظيفة السياسية والأغراض الاجتماعية

– دراسة تاريخية –

Gifts and dressing in the Abbasid era between political function and social purposes –historical study–

أ.م.د. أسماء عبد عون شياع
كلية دجلة الجامعة الأهلية

ملخص البحث :

تعد الهدايا والخلع احدث ادوات التواصل بين الخلافة العباسية واتباعها من أرباب الدولة وكذلك مع عامة الناس اي الرعية ، وشملت الهدايا والخلع ايضا العلاقة السياسية مع ملوك وسلاطين الدول والممالك بوصفها اداة لتحسين العلاقات الخارجية .

كان الهدف من الهدايا والخلع كسب ود الاخرين واشعارهم بالقيمة الاعتبارية وضمان الولاء للخلفاء وتنفيذ اوامرهم من اجل تعزيز سلطتهم السياسية .

يناقش البحث الوظيفة السياسية والاغراض الاجتماعية للهدايا والخلع من مقاربة تاريخية خلال العهد العباسي بالاعتماد عل المنهج التاريخي ، مع تحليل المعلومات التاريخية وتفسيرها وربطها بموضوع البحث.

الكلمات المفتاحية: الهدايا–الخلع –العصر العباسي –الوظائف السياسية –الاغراض الاجت

Gifts and dressing in the Abbasid era between political function and social purposes –historical study–

– Asst.Prof.Dr : ASMAA ABD OUN SHYAA

asmaaasmaa534@yahoo.om

Dijlah University College

ABSTRACT

Gifts and khul' are the latest tools of communication between the Abbasid caliphate and its followers from the heads of the state, as well as with the general public, i.e. the subjects. The gifts and khul' also included the political relationship with the kings and sultans of states and kingdoms as a tool for improving foreign relations.

The purpose of gifts and khul' was to win the affection of others, make them feel valued, ensure loyalty to the Caliphs, and carry out their orders in order to strengthen their political authority.

The research discusses the political function and social purposes of gifts and divorce from a historical approach during the Abbasid era, relying on the historical method, with the analysis and interpretation of historical information and linking it to the topic of research.

Keywords: gifts - khul' - Abbasid era - political functions - social

المقدمة:

حفل التاريخ الإسلامي بالعديد من وسائل التواصل الاجتماعي بين الخلافة من جهة وأتباعها من أمراء وقادة وقضاة ممن يطلق عليهم أرباب الدولة من جهة أخرى، كذلك بين الخلفاء وعامة الناس من الرعية، هذا على المستوى الداخلي للدولة، أما على مستوى العلاقات الخارجية مع ملوك وسلاطين الدول والممالك، فقد كانت أيضاً هناك عدة وسائل وأدوات للتعامل السياسي.

تشير المصادر التاريخية إلى أن من بين الوسائل المهمة التي اضطلعت بدور بارز في تنظيم العلاقة بين مركز الخلافة العباسية والأطراف الأخرى الداخلية منها والخارجية تبرز مسألة الهدايا، حيث كانت وسيلة لكسب ود الآخرين، وإشعارهم بالقيمة الاعتبارية لهم من أجل ضمان ولاءهم للخليفة وتنفيذهم لأوامره وتعزيز سلطته السياسية، كما أسهمت الهدايا والخلع بتقريب الخلفاء من عامة الناس.تتناول هذه الدراسة قضية الهدايا والخلع في العصر العباسي بين الوظيفة السياسية والأغراض الاجتماعية من خلال طرح المعلومات التاريخية وتحليلها علمياً.

استندت الدراسة إلى المنهج التاريخي بوصفه المنهج الأنسب لمثل هذه الأبحاث التي تصنف ضمن البحوث التاريخية، وحرصت الباحثة على طرح وجهة نظرها في العديد

من المواضع التي تحتاج إلى ذلك.وخرجت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات المستنبطة من الوقائع التي خضعت للتحليل والبحث.

الكلمات المفتاحية: الهدايا–الخلع –العصر العباسي –الوظائف السياسية –الاغراض الاجتاعية

معنى الخلع والهدايا وأغراضها:

الخلع مفردها الخلعة وهو ما ينزع أو يخلع من الثياب فيطرح على شخص آخر، وكل ثوب تخلعه عنك خلعة[١]، وهي حلّة من حلل السلطان يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه[٢]. أما الهدايا ومفردها الهدية، فهي من الهدي، والهدية هي ما اتحفت به غيرك فيقال أهديت له[٣].

تعد الخلع والهدايا من الوسائل التي استخدمها الخلفاء العباسيون بهدف توطيد السلطة واستمالة وكسب ود الموالين لها والتواصل والتقارب والألفة لإدامة العلاقات الطيبة بينها وبين من تخلع عليه.

كما أن الخلع والهدايا تثير مشاعر الفرح والسرور في نفوس الآخرين سواء على مستوى العلاقات الداخلية للخلافة مع أرباب الدولة وحاشية الخليفة أو على مستوى علاقاتها الخارجية مع أمراء الأقاليم والأطراف وغيرهم من الملوك والأمراء.

وللخلع والهدايا مناسبات خاصة توزع فيها، وقد كان التعامل بهذه الوسيلة معروفاً لسنوات طويلة سابقة تعود إلى العهد الأموي حيث خلع الخليفة الوليد بن عبدالملك (ت ٩٦هـ –٧١٥ م)على موسى بن نصير ثلاث مرات وإجازة بخمسين ألف دينار بعد أن تم فتح بلاد الأندلس[٤].

وتؤدي الخلع والهدايا وظيفة أخرى هي تقوية العلاقات الدبلوماسية بين الخلافة العباسية مع الدول الأخرى تعود بالفائدة السياسية والاقتصادية لكلا الجانبين.

وتعد الخلع والهدايا من الوسائل الناجحة في كسب المقربين والموالين للخلافة ودخول الرعية في طاعة ولي الأمر، حت قيل في هذا الصدد أن مما يزين الملك إصطناع العوارف إلى أشراف رعيته، فبذلك تميل أعناقهم إليه ويدخلون بذلك في زمرة خدمته وحاشيته، ومازال أفاضل الملوك يلحظون هذا المعنى فيفضلون دائماً على أشراف رعيتهم أنواع الأفاضل ليسرقوهم بذلك" [٥].

الاغراض السياسية للهدايا والخلع في العصر العباسي :

اولا : خلع وهدايا الخلفاء العباسيين على أرباب الدولة:

تبنى الخلفاء العباسيون الخلع والهدايا بوصفها وسيلة للتعامل، فهذا الخليفة المتوكل عندما أمر ببناء مدينته المتوكلية واستكملت في عام (٢٤٥هـ/٨٥٩ م) جمع فيها القراء فقرأوا وحضرها أصحاب المقاهي، فوهب أكثر من ألفي دينار[٦].

وقد رافق صدور أوامر التعيينات إلى أرباب الدولة في مناصبهم توزيع خلع وهدايا إليهم، تقديراً لمكانتهم الرفيعة، من ذلك ما ورد في عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) " في يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة، حيث قلد أبو عبدالله محمد بن علي الدامغاني [٧] قضاء القضاة وخلع عليه "[٨].

وفي عام (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) في ذي القعدة خلع الخليفة القائم بأمر الله على النقيب أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيدالله العلوي في بيت النوبة، وقلد نقابة الطالبيين والحج والمظالم[٩].

كما خلع الخليفة المقتفي لأمر الله على أبي القاسم علي بن صدقة بن علي عند توليه الوزارة في عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)[١٠].

واستمر توزيع الخلع على أرباب الدولة عند توليهم المناصب حتى قبيل سقوط الخلافة عام (٦٢٦هـ/ ١٢٥٨م) حيث سار معظم الخلفاء على هذا التقليد.

جاء في الحوادث عام (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) أنه (تقدم بإحضار القاضي نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي من قضاء الجانب الغربي وأبلغه شفاهاً بتعيينه بمنصب قضاء القضاة وخلع عليه[١١].

يبدو أن هذا النوع من الخلع يكون بمثابة الرسوم المتبعة عند ترتيب رجال الإدارة في مراكزهم[١٢].

واعتمد بعض الخلفاء العباسيين توزيع الخلع والهدايا على أرباب الدولة وحاشيتها عند توليهم منصب الخلافة، فهذا الخليفة المستنجد بالله يخلع على أرباب الدولة بعد انتهاء شهر العزاء بوالده[١٣].

وهذا الخليفة المستضيء بأمر الله يخلع على أرباب الدولة والقضاة والجند وجماعة من العلماء وحتى الناس بعد انتهاء البيعة له عام (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)[١٤].

وقد شمل الخلع أيضاً الأمراء في ولايات العراق ففي عام (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، إذ خلع الخليفة المقتدي بأمر الله على أبي كامل منصور بين نور الدولة دبيس بن علي (أمير الحلة) عندما تولى ما كان يليه أبوه من الأعمال واستقر له الأمر[١٥].

وعندما دخل سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس إلى بغداد في ذي القعدة من عام (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) وكان أول دخوله إليها خلع عليه الخليفة المقتدي بأمر الله خلعه سنية[١٦].

وفي عام (٥٢٨هـ/ ١١٣٤م) خلع الخليفة المسترشد بالله على خادمه إقبال المسترشدي خلع الملوك ولقب ملك العرب سيف الدولة فركب بالخلع وحضر إلى الديوان[١٧].

واستمرت الخلافة بالخلع على الأمراء والخاصة منها حتى قبيل سقوط الخلافة كما في عام (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) عندما استدعي من لدن الخلافة الجلال كشلوخان ابن الأمير

مجاهد الدين أيبك إلى دار الوزير ابن العلقمي وشرفه بالإمارة وخلع عليه[١٨]، ولم ينحصر الأمر عند هذا الحد، بل توجه إلى داره في جمع عظيم ونثر عليه ذهب في عدة مواضع[١٩].

وكانت الخلافة العباسية تخلع على أرباب الدولة في مناسبات معينة من خلال دعوات تقيمها لهم، مثال ذلك ما ورد عام (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) حيث حضر أرباب الدولة في أول رجب للتهنئة بباب الحجرة ثم انصرفوا إلى الدار الجديدة التي عمرها المستضيء بأمر الله مقابل المخزن وحضر العلماء والمتصوفة والقراء وخلعت على الجميع وفرق عليهم المال[٢٠]، وفي رجب من عام (٥٧١هـ/١١٧٥م) تكرر الأمر، ويبدو أن هذا كان رسم الخلافة في رجب من كل عام[٢١].

ثانيا : الخلع والهدايا بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة:

سيطر السلاجقة على حكم العراق مدة طويلة قاربت القرن ونصف القرن منذ عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) لغاية (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)، وقد دان لهم بعض الخلفاء العباسيين لأنهم كانوا يمثلون السلطة الفعلية. وبدأت محاولات التخلص من نفوذهم وسيطرتهم على البلاد في عهد الخليفة المسترشد بالله ، واستمرت تلك المحاولات في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله حتى انتهى نفوذهم في عهد الخليفة الناصر لدين الله.

تبادل السلاطين السلاجقة خلال مدة نفوذهم على العراق الخلع والهدايا مع الخلفاء العباسيين في مناسبات عديدة ما يشير إلى حرصهم على انتهاز الفرص لإظهار الطاعة والاحترام للخلفاء العباسيين، والسعي إلى إقامة علاقات حسنة معهم بغية الحصول على رضا الخليفة واعترافه بشرعية حكمهم.

كان أول تبادل للهدايا والخلع قد تم في عام (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) عندما أرسل الخليفة القائم بأمر الله(ت٤٦٧ هـ -١٠٧٥م) إلى السلطان طغرلبك[٢٢] رسولاً حاملاً معه رسالة يدعوهم فيها إلى رعاية العباد وعمارة البلاد، فخلعوا على رسول الخليفة الخلع والهدايا[٢٣].

وفي عام (٤٤٣هـ/١٠٥١م) وصلت رسل من السلطان طغرلبك إلى الخليفة القائم بأمر الله تحمل معه رسالة يشكر فيها السلطان لأنعام الخليفة عليه بالخلع حاملين له هدايا من الجواهر الثمينة والثياب وعشرة آلاف دينار، فضلاً عن خمسة آلاف دينار أخرى لحاشية الخليفة وألفي دينار لرئيس الرؤساء[٢٤].

وفي عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) خلع الخليفة القائم بأمر الله على السلطان طغرلبك وعاد إلى داره وبين يديه تضرب البوقات والدبادب[٢٥]، مما يشير إلى الحفاوة والتكريم التي حظي بها السلطان.

وفي عام(٤٤٩هـ/١٠٥٧م) خلع الخليفة القائم بأمر الله أيضاً على السلطان طغرلبك خلع بلغ تعدادها سبع خلع وتاج وطوق وعمامة مذهبة وألوية[٢٦]، مما يشير إلى مكانة السلطان عند الخليفة ورضاه عنه ورغبته في إقامة علاقة حسنة بين الطرفين، فضلاً عن تعزيز مكانة السلطان طغرلبك وانتهزها فرصة لرد الجميل للخليفة فأرسل في عام (٤٥٠هـ/١١٥٨م) وزيره عميد الملك الكندري[٢٧] ومعه عشرة آلاف دينار، وأضيف إليها من الأعلاق النفيسة ليقدمها إلى الخليفة القائم بأمر الله في يوم النوروز[٢٨].

ولم يكتفِ السلطان طغرلبك بذلك فأرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله هدايا حملها إليه رسوله ابن فورك[٢٩] عام (٤٥١هـ/١١٥٩م)[٣٠]. وفي عام (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) حمل السلطان طغرلبك بنفسه أموالاً كثيرة وهدايا عظيمة للخليفة القائم بأمر الله ولولي عهده عبدالله بن محمد (المقتدي) وللخاتون ابنته ووالدتها عبر فيها عن شكره وتقديره للخليفة على استجابته لطلبه في الزواج من ابنته[٣١].

وفي عام (٤٦٤هـ/١١٧١م) أرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى السلطان ألب أرسلان ولولده ملكشاه خلعاً على يد عميد الدولة بن جهير[٣٢] بمناسبة خطبة ابنة السلطان لولي العهد المقتدي بأمر الله [٣٣]. واستمر تبادل الهدايا والخلع بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة في مناسبات عديدة دليل على حسن العلاقة بين الطرفين ورغبة كل منهما في إرضاء الآخر.

ففي عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) أرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة المقتدي بأمر الله هدايا كثيرة، وفي المقابل رد عليه الخليفة بالخلع السلطانية[٣٤].

وعلى الرغم من كثرة هدايا السلطان فإنها لم تنحصر به، بل امتدت لتشمل وزيره نظام الملك أيضاً حيث أرسل هو الآخر هدايا للخليفة المقتدي بأمر الله فقبلها منه[٣٥].

وكان تبادل الهدايا يتم في مواسم الأعياد أيضاً، ففي عيد الأضحى من عام (٩٤هـ/١١٠٠م) أرسل الخليفة المستظهر بالله إلى دار السلطان بركياروق منبراً ليصلي عليه إلا أن السلطان لم يحضر الصلاة لأنه كان مريضاً[٣٦].

وفي عامي (٥٠١هـ/١١٠٧م) و(٥١٠هـ/١١١٦م) تم تبادل الخلع والهدايا بين الخليفة المستظهر بالله والسلطان محمد شاه ، إذ ارسل السلطان محمد إلى الخليفة هدايا تشمل خيلاً وطيباً وطلب منه شيئاً من ملبوسه ولواء ومصحف فاستجاب الخليفة لطلبه وأرسل به شيئاً من ملابسه ومجلداً بخط يده يشتمل على دعاء رواه العباس عن النبي (صلى الله عليه وسلم)[٣٧].

وفي عام (٥١٣هـ/١١١٩م) أرسل السلطان سنجر[٣٨] إلى الخليفة المسترشد بالله أقطاعاً بخمسين ألف دينار ومعها ثياب وهدايا كثيرة حملها موفده القاضي الهروي إلى الخلافة[٣٩].

وكان تبادل الهدايا والخلع بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة يهدف إلى تحقيق غايات متعددة من بينها الغايات السياسية أو التعبير عن طاعة السلطان للخليفة.

فعلى سبيل المثال أرسل السلطان السلجوقي محمود هدية إلى الخليفة المسترشد بالله عام (٥١٥هـ/١٢١١م) عشية اليوم الذي حلف فيه يمين الطاعة والمناصحة له[٤٠]، ما يدل على أن العلاقة بين الطرفين كانت مستقرة لكنها لم تستمر طويلاً، ففي عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م) بعث الخليفة إلى المسترشد بالله إلى السلطان محمود المال، وأهدى له سلاحاً وخيلاً وغير ذلك بعد أن اصطلحا[٤١]، مما يدل على أن وجود الخصام وسوء العلاقة بينهما قبل هذا التاريخ فبادر كل منهما إلى تجاوز الخلاف، وكان تبادل الهدايا تعبيراً عن الصلح وتحسين العلاقة بينهما.

وكان الإغراق في الهدايا كبيراً عند الخليفة المسترشد بالله للسلطان السلجوقي محمود، ولعل ذلك محاولة منه لإشعاره بنوايا الخلافة العباسية لإقامة علاقات طيبة مع السلاجقة دون هيمنة على سيادتها وحقوقها الشرعية في إدارة شؤون الدولة العباسية، وهي محاولة تعبر عن رؤية محكنة لدى هذا الخليفة لمواجهة النفوذ السلجوقي، والحد من سيطرته على البلاد.

وفي عام (٥٢١هـ/١١٢٧) مرض السلطان محمود فبعث إليه الخليفة المسترشد بالله أدوية وهدايا وعشرة آلاف رطل خبز وعشرة رؤوس من البقر وتمراً وتصدق عنه كثيراً، ثم بعث إليه الخلع مع وزيره ابن صدقة فخلعها على السلطان.

وامتدت هدايا هذا الخليفة إلى السلاطين الآخرين، فقد بعث إلى السلطان سنجر الخلع والهدايا على يد موفده النقيب علي بن طراد الزينبي فأكرم السلطان موفد الخليفة. كما أرسل الخليفة أيضاً عام (٥٢٨هـ/١١٣٣م) الخلع والأموال والثياب إلى السلطان مسعود الذي دخل بغداد بعد أن انهزم في معركة ضد السلطان طغرل. كما واصل في العام نفسه رسول من السلطان سنجر، فخلع عليه الخليفة بمائة ألف ونيف وعشرين ألف مزمل بها ابن الأنباري إلى السلطان مرفقاً لرسوله، وفي العام التالي عاد ابن الأنباري من السلطان سنجر بعد أن سلمه رسالة الخليفة وخلع عليه وألبسه التاج والطوق[٤٢].

من الواضح أن دوافع ومناسبات لتلك الخلع كانت توطيد العلاقات بين الطرفين وبيان

رضا الخليفة عن السلطان وتقديمه الطاعة والولاء للخليفة.

أما في عام (٥٣٥هـ/١١٤٠م) فوصلت إلى بغداد البردة والقضيب من السلطان سنجر، وكلاهما عائدة للخليفة المسترشد بالله الذي قتل في مراغة عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، فاحتفظ بها السلطان سنجر وأرسلهما إلى الخليفة المقتفي بأمر الله. وفي عام (٥٥١هـ/١١٥٦م) استدعى الخليفة المقتفي بأمر الله السلطان سليمان شاه وخلع عليه خلع الملوك وتوّج وسوّر بالذهب بعد أن حلف له على الطاعة والمناصحة وأن يكون العراق للخليفة[٤٣].

يتضح أن المقتفي بالله واصل نهج سياسة المسترشد بالله في التعامل مع السلاجقة للتخلص من نفوذهم وسيطرتهم على البلاد، وقد نجح مسعاه حيث أذعن له السلطان السلجوقي وأقسم أن يكون تابعاً له ولا يتدخل في حكم البلاد لأنها تحت سلطة الخليفة وسيادته.

مما تقدم نرى أن الهدايا والخلع كان لها الأثر الواضح في نفوس السلاطين السلاجقة والخلفاء والعباسيين بوصفها وسيلة للتواصل المشترك والتفاهم واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين.

ثالثا : خلع وهدايا السلاطين السلاجقة لأرباب الدولة العباسية:

حرص السلاطين السلاجقة على استعمال الخلع والهدايا بوصفها وسيلة تواصل مع الأمراء وأرباب الدولة العباسية من أجل كسب ودهم وتعزيز العلاقة وزيادة التقارب معهم.

ولم ينحصر الأمر عند الخلع والهدايا فقط ، بل امتد إلى منحهم الاقطاعيات في المدن أيضاً. وكان لهذه الهدايا أثر كبير في نفوس من ترسل إليهم، خاصة أنها تأتي من سلاطين السلاجقة وما لهم من مكانة سياسية ونفوذ كبير، فيعلو شأن من ترسل إليه وترتفع مكانته بين الناس. كانت أول الخلع والهدايا في عام (٤٥٣هـ/١٠٦٠م) حين عمل السلطان طغرلبك دعوة في داره حضرها الأمراء فخلع عليهم بعد أن عاد من واسط منتصراً على الباسيري وقتله[٤٤].

وفي العام نفسه خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الأخرم الخفاجي أيضاً وردت عليه إمارة خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات[٤٥]. أما في عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) فعمل السلطان طغرلبك وليمة استمرت عدة أيام بمناسبة زواجه من ابنة الخليفة القائم بأمر الله فخلع فيها على عميد الملك وعلى جميع الأمراء[٤٦].

واستعمل السلاطين السلاجقة الإقطاع في المدن بوصفه هدايا تمنح للأمراء علامة عن الرضاء والقبول عنهم. ففي عام (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) أقطع السلطان ألب

أرسلان الأنبار وهيت وحرابته والسن والبوازيج[٤٧] إلى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل[٤٨].

وفي عام (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) أعطى السلطان ملكشاه إلى فخر الدولة بن جهير ديار بكر وخلع عليه[٤٩]. وفي عام (٥٢٣هـ/١١٢٨م) حضر عماد الدين زنكي صاحب الموصل إلى السلطان محمود، فبذل له مائة ألف دينار وهدايا جليلة فخلع عليه السلطان ووافق على إعادته إلى الموصل[٥٠].

الاغراض الاجتماعية للخلع والهدايا في العصر العباسي :

الخلع والهدايا في المناسبات:

توزع الهدايا والخلع كذلك في المناسبات الاجتماعية مثل الأفراح والابتهاج بختان الأولاد أو شفاء المرضى أو افتتاح مدارس أو بعد الانتهاء من الحرب أو كتعويض عن أموال منهوبة من الناس.

ففي عام (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) تم ختان ولد الخليفة المقتفي لأمر الله وختن معه جماعة من أولاد الأمراء، وأعدت الخلع والتحف ولم يبق أحد من أرباب الدولة إلا وحمل معه من التحف كثيراً وعمل سماطاً كبيراً للأمراء والأتراك[٥١].

وفي عام (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) أقيمت دعوة في دار البدرية – وهي من دور الخلافة – بمناسبة شفاء الخليفة المستنجد بالله ، فخلعت الخلع وضربت الطبول المبشارة والابتهاج بسلامته[٥٢].

وقد عم الفرح والابتهاج عن افتتاح المدارس (الربط) في عام (٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) حيث افتتحت المدرسة المستنصرية، فأقيمت دعوة كبيرة فيها حضرها الكثير من أرباب الدولة، وأفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين والمعيدين ومشايخ الربط والتجار والغرباء[٥٣].

وعندما فتح الرباط الذي أمرت أم المستعصم بالله بعمارته عام (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) حضر الوزير ابن العلقمي وأرباب الدولة وأقيمت فيه دعوة عظيمة وخلع كل من تولى العمارة فيه[٥٤].

وقد وزعت الخلع والهدايا بعد الانتهاء من الحرب وتداعياتها الخطيرة على الناس في عام (٥٥٢هـ/ ١١٧٥م) عندما خرج الخليفة المقتفي لأمر الله بعد انتهاء الحرب مع السلطان السلجوقي محمد وهو يتفقد السور وينظر إلى آثار الحرب والدمار وما أحرق من الدور، فأطلق أموالاً كثيرة للفقراء[٥٥].

ولجأت الخلافة العباسية إلى توزيع الأموال على الناس بوصفها تعويضاً لهم عما نهب من أموال كما حصل عام (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) في عيد الأضحى حيث وقعت فتنة بغداد بسبب أخذ جمال النحر فيما بين العامة، فقتل بينهم جماعة ونهبت كثير من

الأموال، فأخرج الخليفة المستضيء بأمر الله أموالاً فرقها على من نهب ماله[٥٦].

وتفرق الأموال أحياناً على الناس في ليلة العيد كما فعل الخليفة الظاهر بأمر الله ، إذ فرق الأموال على العلماء والصالحين تقدر بمائة ألف دينار في ليلة العيد[٥٧].

كما تلجأ الخلافة العباسية في أحيان أخرى إلى توزيع الصدقات والمواد العينية بدلاً من الأموال في حالة شفاء الخليفة من مرض كما حصل في عام (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) عندما تم شفاء الخليفة المقتفي لأمر الله من مرض أصيب به ففرقت الصدقات والكسوة على الفقراء[٥٨].

الخاتمة:

اتضح من النصوص التاريخية والوقائع التي عرضت خلال هذه الدراسة أن الهدايا والخلع قد اضطلعت بأدوار مهمة في تنظيم العلاقات بين الخلافة العباسية من جهة وطبقة الأمراء وأرباب الدولة وعامة الناس من جهة أخرى، هذا على الصعيد الداخلي، أما على صعيد العلاقات الخارجية بين الخلافة العباسية والسلاطين السلاجقة، فقد كان للهدايا والخلع دوراً أكثر أهمية للطرفين.

ويمكن للباحثة أن تثبت الاستنتاجات التالية:-

١-شيوع استعمال الخلع والهدايا وفي مناسبات متعددة وحتى بدونها.

٢-يعد المصحف الشريف والادعية من اهم الهدايا التي يقدمها الخلفاء، وكذلك الاموال والثياب والتحف والمنح والخيل والطيب والالوية ، كما تعد الاقطاع من الاراضي من أبرز انواع الهدايا التي قدمها الخلفاء ، فضلا عن الادوية والماشية .

٣-من ابرز الشخصيات التي كانت تمنح لها الهدايا والخلع هم الامراء والوزرا وارباب الدولة ، وكذلك عامة الناس في المناسبات الدينية ومناسبات الخلفاء الخاصة .

٤-كان من بين غاياتها توطيد السلطة واستمالة الموالين لها.

٥-تعد نوعاً من التكريم للأمراء والوزراء وأرباب الدولة.

٦-استعملت الخلع والهدايا في مناسبات الأفراح والابتهاج كنوع من تواصل الخلافة مع الشرائح الاجتماعية.

٧-سعت إلى تقريب الخلفاء من الرعية وجذبهم وإثارة مشاعر الود والاحترام للخلفاء فيمتثلون لأوامرهم.

٨-رافقت الخلع والهدايا في بعض الأحيان توزيع الأموال والصدقات للمحتاجين والفقراء من عامة الناس.

٩-أدت الخلع والهدايا وظيفة سياسية مهمة في العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة من خلال كسب ودهم واحتواء نفوذهم وإبعاد خطرهم عن مركز الخلافة العباسية.

الهوامش:

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، ص١٨١، ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٤٢٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت وآخرون، ج٨، مادة خلع، وزارة المعارف، ص٤٠٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص٢٣٣.

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٣٨ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م)، الإمامة والسياسة، (المنسوب إليه)، تحقيق د. طه محمد الزيني، ج١، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (بلا. ت)، ص٨٤.

(٥) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٧٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٠٦.

(٧)هو العلامة البارع مفتي العراق قاضي القضاة ابو عبد الله محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسويه الدامغاني الحنفي . (ينظر : الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ١٨ ، ص ٤٨٤).

(٨)ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٠..

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٦.

(١٠) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج١٠، ص١٢٥.

(١١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٥٢.

(١٢) فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ص٣١٣.

(١٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٩٤.

(١٤) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٠٧.

(١٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٢.

(١٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٩.

(١٧) ابن كثير، المصدر نفسه، ج١٢، ص١٦١.

(١٨) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥٨٧.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٥٢.

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

(٢٢) هو محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين ابو طالب اصل السلجوقية من بر بخارى ،وهو اول سلاطين الدولة السلجوقية

، لم يرزق بولد وعاش سبعين عاما وكانت بيده خوارزم وتيسابور وبغداد والري واصبهان (ينظر : الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج١٨، ص١٠٧)..

(٢٣) الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٥.

(٢٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٣.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٦٥.

(٢٦) الأصفهاني، مصدر سابق، ص١٩٠.

(٢٧) الوزير الكبير عميد الملك ابو نصر محمد بن منصور بن محمد الكندري وزير السلطان طغرلبك توفى عام ٤٥٦هـ (ينظر الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ١٨، ص١١٣).

(٢٨) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٨، ص١٠٩.

(٢٩) الامام العلامة الصالح شيخ المتكلمين ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني . (ينظر : الذهبي : سير اعلام النبلاء ،ج١٧،ص٢١٥).

(٣٠) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(٣١) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص٢٢٦.

(٣٢) الوزير الكامل عميد الدولة ابو منصور بن الوزير الكبير الملك فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير اصبح وزيرا ايام والده وخدم ثلاث خلفاء ، وكان خبيراً ، سائساً، شجاعاً ، فصيحاً ، بليغاً، اديباً، توفى عام ٤٩٣هـ .(الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ١٩، ص١٧٥).

(٣٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤٩، أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ج١، ص٨٠.

(٣٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠١.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٢٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ص١٥٥-١٨٤.

(٣٨) السلطان سنجر هو السلطان السادس في السلالة السلجوقية واسمه ابو الحارث سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر توفى سنة ٥٥٢هـ.(ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٢،ص ٤٢٧).

(٣٩)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٠٦.

(٤٠) المصدر نفسه، ص٢٢٥.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(٤٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ج١٠، ص٥- إلى ص٤٢.

(٤٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٢، ص٨٩.

(٤٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢١٥، الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق،

ص١٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦١.

(٤٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦١.

(٤٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣٠.

(٤٧) أسماء بلدات تقع قرب تكريت، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، الأجزاء ١، ٢، ٣.

(٤٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٣٨.

(٤٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦.

(٥٠) المصدر السابق، ج١٠، ص١١٠.

(٤٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٨١.

(٤٦) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص٢٣٢، ابن كثير، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٠٧، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص١٩٢.

(٤٧) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٨٣، ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٧٦، الأشرف الغساني، مصدر سابق، ص٤٦٢.

(٤٨) ابن الفوطي، مصدر سابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٤٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٥، مجموعة مؤلفين، موسوعة المقاومة، ج١، ص١٨٤.

(٥٠) ابن الجوزي، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٦٠، ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص٣٠١.

(٥١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٥.

(٥٢) ابن الجوزي، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٣٢.

المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير، عزالدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، الكامل في التاريخ، ج٧-٨-٩-١٠، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨.

٢- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، بلا. ت.

٣- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٨-٩-١٠، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠.

٤- ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن شهاب العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة

بن خياط ، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
٥- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ- ١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، طبعة بيت الافكار الدولية ، ٢٠٠٩م.
٦- ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٧هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بلا. ت.
٧- ابن الفوطي، كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، د. عماد عبدالسلام رؤوف، ط١، منشورات رشيد، قم، ١٣٨٢هـ.
٨- ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين الدمشقي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الكواكب الدرية في السيرة النبوية (تاريخ السلطان نور الدين محمود بن الزنكي)، تحقيق د. محمود زايد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.
٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م)، الإمامة والسياسة، (المنسوب إليه)، ج٢، تحقيق د. طه محمد الزيني، دار المعرفة للطباعة، بيروت، د. ت.
١٠- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج١٢-١٣، تحقيق محمد جودة ومحمد حسين، ط١، دار الهيثم، القاهرة، ٢٠٠٦.
١١- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، بلا. ت.
١٢- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البنداري، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣١٨هـ.
١٣- الأشرف الغساني، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م.
١٤- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٦م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا. ت.
١٥- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٣٤م)، أساس

البلاغة، تحقيق، عبدالرحمن محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.
١٦- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
١٧- أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٦م.
١٨- دائرة المعارف الإسلامية، ج٨،نقلها إلى العربية محمد ثابت وآخرون، وزارة المعارف.
١٩- فهد، د. بدري محمد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م.

(٥١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٨١.

(٥٢) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص٢٣٢، ابن كثير، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٠٧، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص١٩٢.

(٥٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٨٣، ابن كثير، مصدر سابق، ج١٣، ص٧٦، الأشرف الغساني، مصدر سابق، ص٤٦٢.

(٥٤) ابن الفوطي، مصدر سابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٥٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٥، مجموعة مؤلفين، موسوعة المقاومة، ج١، ص١٨٤.

(٥٦) ابن الجوزي، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٦٠، ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص٣٠١.

(٥٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٥.

(٥٨) ابن الجوزي، مصدر سابق، ج١٠، ص٢٣٢.